

الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في اعلام جنوب افريقيا (The Israeli-Palestinian conflict in South African media)

Mouad Khateb

معاذ خطيب

This paper attempts to address the following question: Is the media in South Africa biased in favour of either the Israelis or the Palestinians in its coverage of the political, social, cultural, and military conflict between them? Through analysis of four major news outlets, we found that the coverage of the conflict in South African media is balanced for the most part, without bias to any of the two sides.

تعتبر دولة جنوب أفريقيا أكثر الدول تطورا في القارة الأفريقية وهي صاحبة أقوى اقتصاد في القارة. جامعاتها الحديثة طلاب من كل أطراف العالم، من شرق آسيا، من الجزيرة العربية، من الشرق الأوسط، من دول شمال أفريقيا، من دول أوروبا، بل ومن الولايات المتحدة الأمريكية أيضا. وفي جنوب أفريقيا تتداخل الثقافات والمجموعات العرقية والدينية. فهناك المسيحيون والمسلمون والهنود والبوذيين واليهود. هذه المقالة تحاول ان تجيب عن السؤال: هل ينحاز اعلام جنوب أفريقيا للطرف الفلسطيني أم للطرف الاسرائيلي في تناوله للصراع الفلسطيني الاسرائيلي؟

في جنوب أفريقيا يسود الحزب "المؤتمر الوطني الأفريقي" African National Congress المسمى اختصارا ANC، والذي يحكم جنوب أفريقيا منذ انتخابات 1994، أي منذ سقوط نظام الفصل العنصري "الأبرتهاید"، ويفوز منذ ذلك الوقت بغالبية الأصوات (فوق 65%) في انتخابات الجمعية الوطنية (National Assembly) المرادفة للبرلمان في الدول الأخرى، والمكونة من 400 عضو والتي يقرر الحزب الأكبر فيها من يكون الرئيس. وقد كان للـ ANC وجناحه العسكري المسمى "رُمح الأمة" (Spear of the Nation) دور بارز في الصراع مع حكومة الفصل العنصري التي كانت مقصورة على البيض من أصول هولندية، وبرز قادة هذا الجناح ليكونوا لاحقا من اعلام النضال الوطني، وعلى رأسهم نلسون مانديلا. الحزب المنافس للـ ANC هو التحالف الديمقراطي Democratic Alliance، اختصارا: DA والذي يضم بشكل رئيسي اشخاصا من البيض كانوا مناهضين للعنصرية ونظام الأبرتهاید في الحقبة السابقة.

المؤتمر الوطني الأفريقي، داعم صريح للقضية الفلسطينية

عُرف عن نلسون مانديلا، قوله المأثور "نعلم جيدا أن حريتنا منقوصة ما دام الفلسطينيون لم ينالوا حريتهم"، وهي جملة قالها في خطاب القاها في 4 ديسمبر 1994 في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني¹. وكما ذكرنا، كان نلسون مانديلا أول رئيس منتخب ديمقراطياً لدولة جنوب أفريقيا بعد سقوط الأبرتهاید، ممثلاً عن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي (ANC) والذي كان مانديلا أيضا قائد جناحه العسكري قبل سجنه ونفيه في سجنه الشهير بجزيرة روبين. ولذلك فقد باتت مناصرة الشعب الفلسطيني سياسة عامة اتبعتها الحزب وقادته منذ ذلك الحين. فقط مؤخرا، أعلنت دولة جنوب أفريقيا أنها ستبتزح بـ 2 مليون راند لوكالة الغوث للاجئين التابعة للأمم المتحدة لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين²، كما أن غرفة التجارة التابعة للحكومة أعلنت مؤخرا عن نيّتها

¹ الخطاب الكامل: <http://anc.org.za/show.php?id=3384>

² الخبر: - <http://www.sowetanlive.co.za/news/2012/10/09/sa-government-gives-money-to-palestine-agency>

تطبيق قانون بموجبه يتم وسم المنتجات المستوردة من المستوطنات الاسرائيلية على انها "منتجات مستوطنات" ليعرف الزبائن انها من مناطق فلسطينية محتلة، وهو مشروع قانون تم تمريره بضغط من مؤسسات اهلية وغير حكومية مويده للقضية الفلسطينية في جنوب أفريقيا. أخيراً، دائما ما يدلي إبراهيم إبراهيم، وهو رئيس دائرة العلاقات العامة في حزب المؤتمر الوطني الحاكم، ونائب وزير العلاقات الدولية والتعاون في حكومة جنوب أفريقيا، يدلي بتصريحات مناهضة لسياسات اسرائيل الاستيطانية والاحتلالية ويشبهها بنظام الأبرتهاید، ويثال في ذلك دعم حكومته ورئيسها، وأخر تصريحاتها كان في مؤتمر التضامن الدولي في العاصمة بريتوريا، والذي فيه وجه المتكلمون انتقادات حادة لإسرائيل وسياساتها.³

وأما هذه المقالة ففيها سنحاول كشف الكيفية التي بها يتعاطى إعلام دولة جنوب أفريقيا مع للصراع الفلسطيني-الاسرائيلي. وبصورة أدق، سنحاول ان نجيب عن التساؤل: هل الاعلام المحلي في جنوب أفريقيا منحاز للطرف الفلسطيني، أم الإسرائيلي، أم انه محايد؟ وللاجابة عن السؤال سنقوم باستعراض الكيفية التي يُها تتم صياغة أخبار الصراع الفلسطيني-الاسرائيلي، وسنعمد على المقارنة بين تقارير وسائل الاعلام المحلية المختلفة التي تتحدث عن نفس الحدث او الخبر، وهو مهم لكشف ما إذا كانت هناك اختلافات وطبيعة هذه الاختلافات، وسببها.

عيّة للدراسة: تغطية اعلام جنوب افريقيا لمقتل مواطنين اثنين من غزة في الفترة بين (5-8 نوفمبر 2012).

مساء يوم الاثنين 5 نوفمبر اطلقت القوات الاسرائيلية المتمركزة شرق مخيم البريج النار على الشاب الفلسطيني أحمد النبهان (20 عام) الذي كان يعاني من اضطرابات نفسية. تم ترك الشاب ينزف لمدة 6 ساعات دون تقديم اي اسعاف له، ومنعت طواقم الاسعاف الفلسطينية من الوصول إليه. أخيراً وبعد اتصالات من قبل الصليب الأحمر تم انتشال جثة الشاب الذي كان قد فارق الحياة.

لاحقاً، مساء يوم الخميس 8 نوفمبر توغلت قوات اسرائيلية في منطقة خان يونس جنوب قطاع غزة، وخلال التوغل قتل الفتى حميد يونس أبو دقة (13 عام) برصاصه في الرأس حين فتحت مروحية اسرائيلية النار على جموع من المدنيين خلال تغطيتها لعملية التوغل من الجو. لاحقاً في نفس الليلة أصيب جندي اسرائيلي بجروح متوسطة بانفجار قنبلة اعلنت كتائب القسام أنها ردا على مقتل الفتى الفلسطيني⁴. أهمية هذا الحدث بالنسبة لنا تكمن في أنه حدث تضرر فيه الطرفان، الفلسطيني والإسرائيلي، وبالتالي فإن طريقة تناول الخبر في وسائل الاعلام تكشف عن انحيازها لأي من الطرفين أو حياديتها وعدم انحيازها.

خدمة (IOL) Independent Online الإخبارية الإلكترونية.

بالبحث عن الكلمة "GAZA" في موقع هذه الخدمة التي توفر خدمات اخبارية الكترونية للعديد من الصحف الشهيرة في جنوب أفريقيا، نجد أن الموقع لا يذكر أبداً خبر مقتل أي من الشابين الغزويين المذكورين أعلاه. الأخبار الوحيدة التي يرد فيها ذكر "غزة" خلال اسبوع الاحداث المذكورة هي اخبار تتحدث عن تصريحات البشير (رئيس جمهورية السودان) وتوعد إسرائيل بالرد على قصفها لمصنع الاسلحة السوداني.

أما نتائج البحث عن "غزة" من الاسبوع السابق (23-31 أكتوبر) فعناوين الاخبار التي يرد فيها ذكر غزة هي:

- "السودان هي دولة خطيرة وارهابية"⁵، وفيه تتبنى الشبكة وجهة النظر الاسرائيلية تجاه السودان واتهامها لها بأنه يمد غزة بالسلح.

³ <http://electronicintifada.net/content/israel-more-inhuman-apartheid-south-africa-anc-conference-told/11857>

⁴ <http://www.aljazeera.net/news/pages/15ad03c8-6a94-4203-bad3-9a4d1e94cae8>

⁵ www.iol.co.za/news/.../sudan-is-a-dangerous-terrorist-state-1.1411118

الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في اعلام جنوب افريقيا The Israeli-Palestinian conflict in South African media

- "بقرة خائفة تقتل فلسطينيا في غزة"⁶
- "إطلاق صواريخ على إسرائيل من غزة"⁷
- "7 صواريخ تضرب إسرائيل بعد مقتل مسلح"⁸

كما نرى، لا يوجد ذكر لأي من العمليات الإسرائيلية التي نفذتها إسرائيل خلال تلك الفترة، والتي كانت في الحقيقة سبب قيام المقاومة الفلسطينية بالرد بإطلاق الصواريخ على إسرائيل. حتى "مقتل المسلح" كُتبت بصيغة المبني للمجهول وليس "بعد قتلها مسلح". هناك خبر عن قيام "بقرة خائفة بقتل فلسطيني" لكن الفلسطينيين الذين قتلوا برصاص دولة إسرائيل لم يرد ذكرهم في الموقع أبدا.

ولو بحثنا عن "إسرائيل" في نفس الشبكة خلال الفترة الزمنية إياها (23 أكتوبر – 8 نوفمبر) لما وجدنا أي قطعة إخبارية فيها أي ادانة او نقد لإسرائيل وسياساتها. عوضا عن ذلك، نجد عناوين فيها تتبنى الشبكة المواقف الإسرائيلية حتى دون علامات اقتباس. فأحد العناوين مثلا كان: إيران تديرها مجموعة من المعادين للأسامية (Iran Ran by Anti-Semites)⁹. وفي داخل الخبر تم اقتباس مسؤول اسرائيلي يظهر انه هو صاحب هذا الكلام. عادة، وحين يتم اقتباس أي جهة في عنوان الخبر، يتم وضع الكلام بين علامات اقتباس، وإلا سيفهم ضمناً أن هذا الكلام هو موقف الصحيفة وليس اقتباسا لطرف ثانٍ. لكن الشبكة لم تفعل ذلك، وبالتالي فهي تبنت هذا الاتهام الخطير ولم تقف أبدا موقف الحياد.

صحيفة The New Age وموقعها الالكتروني

بخلاف IOL، نجد أن صحيفة The New Age، وهي من كبريات الصحف في الدولة وتوزع في كل أقاليمها تحتفظ بقدر من الموضوعية والحيادية في النقل، في نسخها الالكترونية ايضا. لتجسيد ذلك، ننقل عناوين اخبارها عن غزة خلال نفس الفترة التي بحثناها أعلاه.

- "ثلاثة قتلى فلسطينيين نتيجة العنف في غزة"¹⁰. مع ان تفاصيل الخبر تشير الى انهم قتلوا بنيران اسرائيلية، يكتب العنوان بالقول "عنف في غزة"، ويمكن اعتبار ذلك انحيازاً لجانب إسرائيل، لأن العنوان بصورته الحالية مضلل وغير شفاف.
- "مسلحون من غزة يطلقون الصواريخ على إسرائيل بعد غارة جوية"¹¹. يمكن القول ان هذا العنوان منصف للطرفين، فالمسلحون الفلسطينيون أطلقوا الصواريخ، لكن الموقع ذكر ان ذلك جاء "بعد غارة جوية"، مع انه لم يذكر انها غارة جوية اسرائيلية. ولو اكتفى العنوان ب "مسلحون من غزة يطلقون الصواريخ على إسرائيل" لكان الخبر انحيازاً لإسرائيل وتغطية على كونها هي البادئة بالعمل العسكري مما حدا بالفلسطينيين للرد بإطلاق الصواريخ تحت الحصار، الحياة في غزة هي مثل معركة يومية من أجل البقاء¹².

⁶ www.iol.co.za/news/world/panicking-cow-kills-man-1.1412375

⁷ www.iol.co.za/news/world/rockets-fired-from-gaza-strip-1.1412410

⁸ www.iol.co.za/news/world/7-rockets-hit-israel-after-militant-killed-1.1412790

⁹ www.iol.co.za/news/world/iran-run-by-anti-semites-israel-1.1329734

¹⁰ http://www.thenewage.co.za/66807-1020-53-Three_Palestinians_killed_in_Gaza_violence

¹¹ http://www.thenewage.co.za/64918-1020-53-Gaza_militants_fire_rockets_into_Israel_after_air_strike

¹² http://www.thenewage.co.za/44553-1020-53-Under_siege_life_on_the_Gaza_Strips_a_daily_fight_for_survival

- مقتل شخص واصابة ثلاثة في ضربة اسرائيلية لقطاع غزة¹³.

مثل العنوان السابق، نقل للصورة الحقيقية، وعدم التعمية عن العمليات الاسرائيلية التي تقوم بها اسرائيل ضد قطاع غزة.

مع أنه لم يظهر في نتائج البحث ما يتطرق للمستجدات الأخيرة (مقتل الفتى والشاب) إلا ان العناوين اعلاه تعكس صورة ولو أولية عن كيفية تغطية هذه الصحيفة الشهيرة للصراع، وهي تغطية ربما يمكننا القول انها غير منحازة لأي من الطرفين.

صحيفة Sunday Times وموقعها الالكتروني

وهي الاخرى من كبريات الصحف القطرية في جنوب أفريقيا، ويمكن القول انها تتناول الصراع الفلسطيني الاسرائيلي بحذر وحيادية.

فالخبر الذي يتحدث عن مقتل الفتى الفلسطيني برصاص المروحية الاسرائيلية، مثلاً، كان عنوانه في موقع الصحيفة "نيران اسرائيلية تقتل فتى فلسطينياً خلال مناوشة عسكرية بغزة"¹⁴. ربما لا يمكن القول ان العنوان يُظهر انحيازاً للجانب الفلسطيني، لكنه حتماً غير منحاز للطرف الاسرائيلي. فوضع "اسرائيلية" في أول العنوان، وهو أهم مقطع فيه، لهو بمثابة تسليط الضوء على "الجاني"، الذي اقترف هذه الجريمة، جريمة قتل الفتى الفلسطيني. أي ان العنوان الذي بدأ بتسليط الضوء على القاتل، انما ساهم في تعرية هذا القاتل وإلغاء أي فرصة لأن تكون هوية القاتل مجهولة او فيها أي شك. وقد كان بالإمكان وضع العبارة "بنيران اسرائيلية" في آخر العنوان، أو عدم وضعها بتاتاً، مثل "مقتل فتى فلسطيني في غزة" وترك الامر ضبابياً دون الإشارة للجاني صراحة، وهو ما يعتبر تغطية على الجاني. أما نص الخبر (يمكن الرجوع اليه وابطه في الهوامش)، ففيه قدر من الحيادية، إذ انه يعرض رواية كلا الطرفين، الفلسطيني والاسرائيلي لما حدث.

وفي خبر أحدث، وهو خبر اغتيال أحمد الجعبري قائد كتائب القسام في غزة، يظهر حياد الصحيفة مجدداً. فالخبر الذي عنوانه "مقتل احد كبار قادة حماس بضرية اسرائيلية"¹⁵ يلخص أولاً ما حصل بالقول ان "الهجوم جاء رغم ما يشير إلى ان مصر نجحت في التوصل الى هدنة بين الطرفين بعد ايام من العنف المتبادل". وفي هذا إشارة إلى ان اسرائيل خرقت الهدنة، ولا سيما وأن التعبير "رغم" يشير إلى وجود تناقض معين، وهو عملياً التناقض الذي ظهر في الموقف الاسرائيلي الذي وافق على الهدنة من جهة، لكنه قام باغتيال الجعبري من جهة أخرى. ثم يذكر التقرير رواية حماس عن اغتيال قائدها بصاروخ اسرائيلي، وبعد ذلك يذكر الرواية الاسرائيلية التي تؤكد ذلك. ولو اردنا تقييم التقرير بشكل عام لقلنا انه اقرب للحياد منه إلى الانحياز لأي طرف. هذان الخبران يعكسان التوجه العام للصحيفة وهو ما تمكن ملاحظته بمعاناة اخبار وتقارير اخرى، لكن نكتفي بهذا القدر.

صحيفة Mail and Guardian وموقعها الالكتروني

مع ان الفكرة العامة عن الصحيفة واسعة الصيت والانتشار هي أنها منحازة للجانب الفلسطيني، إلا أنني بعد

¹³ http://www.thenewage.co.za/Detail.aspx?news_id=65832&cat_id=1020

¹⁴ <http://www.timeslive.co.za/world/2012/11/08/israeli-gunfire-kills-palestinian-boy-in-gaza-clash--medics>

¹⁵ <http://www.timeslive.co.za/world/2012/11/14/top-hamas-commander-killed-in-israeli-airstrike>

الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في اعلام جنوب افريقيا *The Israeli-Palestinian conflict in South African media*

الفحص والمعاينة وجدت أن الصحيفة في الحقيقة محايدة، في أنها تعرض وجهتي النظر بنفس القدر. لم ألمس أي انحياز في طريقة صياغة الأخبار وعناوينها في الصحيفة (وموقعها الإلكتروني)، والتي تغطي أحداث غزة الأخيرة. ولذلك قمت بالبحث عن المقالات المنشورة في موقع الصحيفة، والتي ساهم بها قراء الصحيفة وتطرق للصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وما وجدته هو ان هناك توزاناً معيماً في التعاطي مع القضية، ولتجسيد ذلك أذكر هذا المثال: في 24 من اكتوبر 2012 نشرت الصحيفة خبراً¹⁶ عن الاستبيان الذي اجري في اسرائيل والذي أشار الى أن معظم الاسرائيليين يؤيدون سياسات عنصرية شبيهة بسياسات نظام الأبرتهاد في جنوب أفريقيا، والذي تم اشهاره في تقرير نشرت في صحيفة هآرتس الاسرائيلية. لاحقاً، في 9 من نوفمبر 2012 نشرت الصحيفة نفسها مقالاً ساهم به احد قراء الصحيفة، عنوانه "اسرائيل ليست دولة ابرتهاد" ودافع فيه عن دولة اسرائيل وحاول نفي تهمة كونها دولة عنصرية¹⁷. فالصحيفة تفسح المجال لكلا الطرفين للتعبير عن رأيهم وتمنح كل طرف حق الرد على الطرف الآخر، وكثيراً ما تنشر مقالات هي ردود على مقالات اخرى نشرت في الصحيفة نفسها. هذا هو الحال تقريبا في هذه الصحيفة، ومعظم الصحف في جنوب أفريقيا، بل والقنوات التلفزيونية أيضاً.

الخلاصة

اعتماداً على العيّنات التي تمت معابنتها خلال هذا البحث المقترض، لا يمكن القول إن هناك انحيازاً من قبل وسائل الاعلام في جنوب أفريقيا ولا سيما التجارية منها، مثل الصحف والمواقع المذكورة أعلاه. لكن هناك بلا شك انحيازاً كاملاً وواضحاً من قبل وسائل الاعلام غير التجارية التابعة لإحدى الجماعتين الدينيتين في جنوب أفريقيا: المسلمون واليهود. فوسائل الاعلام التي يمتلكها المسلمون، مثل قناة الراديو Voice of the Cape، وصحفهم المحلية مثل Muslim Views، تبدي تبنياً واضحاً للرواية الفلسطينية وتضامناً مع قضية الشعب الفلسطيني، وهو ما يتأثر بلا شك بالخطاب الديني الداعم لفلسطين، إذ أن المشايخ ومجالس العلماء والجمعيات الاسلامية كلها داعمة لفلسطين، ومن جنوب أفريقيا انطلقت عدة قوافل إغاثة لفلسطين ولغزة. وهو ما يلقي بظلاله على نظرة المسلمين ككل للقضية، والوسيلة التي بها يتعامل اعلامهم معها. على الطرف الآخر، نجد أن وسائل الاعلام التي يملكها اليهود تتبنى الرواية الاسرائيلية الصهيونية بحذافيرها. فكما أن المجتمع اليهودي هنا والذي يسيطر على قطاعات اقتصادية كبيرة جداً يقدم دعماً سخياً ولا نهائياً لدولة اسرائيل، فكذلك تفعل وسائل الاعلام التي يملكها، مثل Jewish Report، والمواقع الإلكترونية الأخرى التابعة للجمعيات والاتحادات اليهودية المختلفة.

الكاتب معاذ خطيب، طالب لقب ثاني في دراسات البلاغة السياسية في جامعة كيب تاون (Cape Town)، ومدوناته هنا: <http://Al-rasid.com>

Mouad Khateb is a Masters student at the University of Cape Town and an A. W. Mellon — University of Cape Town scholar in Rhetoric Studies. He blogs at <http://al-rasid.com>.

¹⁶ <http://mg.co.za/article/2012-10-24-poll-shows-majority-israelis-in-favour-of-apartheid-policies>

¹⁷ <http://mg.co.za/article/2012-11-09-israel-is-not-apartheid-state>